المجلد 6، العدد 23 ص 36 - 61 (2025)، Volume 6, Issue 23

الآثار الإسلامية في عهد الدولة الفاطمية

فتحية علي خليفة جابر

جامعة صبراته (ليبيا)

Islamic monuments during the Fatimid era

Fathiyah Ali Khalleefah Jabir

https://orcid.org/0009-0004-9333-6204

Sabratha University (Libya), fathiyahjabir@gmail.com

تاريخ الاستلام: 14 / 01 /2025 تاريخ القبول: 09 / 02 / 2025 تاريخ النشر: 01 / 09 / 2025

الملخص:

ظهرت الدولة الفاطمية في مصر في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، فغدا الشرق الإسلامي منذ ذلك التاريخ تتنازعه خلافتان كبريان: إحداهما: عباسية سنية في بغداد، والثانية: فاطمية شيعية في القاهرة. وقد ظلت الخلافة الفاطمية عزيزة الجانب مهيبة السلطان حتى الشطر الأول من خلافة المستنصر بالله (427 - 487هـ)، ففي عهده «امتد سلطان الفاطميين على بلاد الشام وفلسطين والحجاز وصقلية وشمال إفريقية، وكان اسمه يذاع على كافة منابر البلاد الممتدة من المحيط الأطلسي غربًا حتى البحر الأحمر شرقًا بل في بغداد نفسها حاضرة العباسيين نحوًا من سنة .«على أن عهد المستنصر نفسه حمل بذور الضعف والانهيار، وانطوى على عوامل الانحلال والتفكك، فقد ألمت بمصر في عهده مجاعة طاحنة رافقتها أوبئة مهلكة، وقد اصطلح المؤرخون على تسميتها بالشدة العظمى أو الشدة المستنصرية.

وظلت هذه الدولة مستقلة لأكثر من قرنين ونصف من الزمان 297- 567هـ، مما كان له أثر كبير في التاريخ الإسلامي بشكل عام والمصري بشكل خاص، من حيث الآثار والتقدم المعماري ولهذا كانت الدولة الفاطمية بمثابة العصر الذهبي لمصر التي تم فيها اكتمال الفن الإسلامي، حيث ترك الفنانون المصريون وراءهم العديد من الآثار والتحف التي تشهد على مهارتهم .. ومن هنا كان هذا البحث وسميته: "الآثار الإسلامية في عصر الدولة الفاطمية."

الكلمات المفتاحية: الدولة الفاطمية.، الآثار الإسلامية.، مصر.، المساجد.، القلاع.

Abstract:

The Fatimid state emerged in Egypt in the second half of the 4th century AH. From that time, the Islamic East was divided between two great caliphates: the Sunni Abbasid Caliphate in Baghdad, and the Shiite Fatimid Caliphate in Cairo. The Fatimid Caliphate remained strong and awe-inspiring until the first half of the reign of Al-Mustansir Billah (427–487 AH). During his rule, *the Fatimid authority extended over the Levant, Palestine, the Hijaz, Sicily, and North Africa. His name was proclaimed from the pulpits of lands stretching from the Atlantic Ocean in the west to the Red Sea in the east, and even in Baghdad itself, the Abbasid capital, for nearly a year.*

However, Al-Mustansir's era itself carried within it the seeds of weakness and decline, containing factors of disintegration and collapse. Egypt suffered during his reign from a devastating famine accompanied by deadly

plagues, which historians have called "Al-Shiddah al-'Uzma" (the Great Calamity) or "Al-Shiddah al-Mustansiriyyah."

The Fatimid state remained independent for more than two and a half centuries (297–567 AH), leaving a significant impact on Islamic history in general and on Egyptian history in particular, especially in terms of monuments and architectural advancement. For this reason, the Fatimid period is considered Egypt's golden age, in which Islamic art reached its full development. Egyptian artists left behind many monuments and artifacts that stand as testimony to their craftsmanship.

Hence, this study has been titled: "Islamic Monuments in the Era of the Fatimid State."

Keywords: Fatimid State; Islamic Monuments; Egypt, Mosques; Fortresses.

مقدمة:

كان للدولة الفاطمية أثر كبير في التاريخ الإسلامي بشكل عام والمصري بشكل خاص، من حيث الآثار والتقدم المعماري ولهذا كانت الدولة الفاطمية بمثابة العصر الذهبي لمصر التي تم فيها اكتمال الفن الإسلامي، حيث ترك الفنانون المصريون وراءهم العديد من الآثار والتحف التي تشهد على مهارتهم .. ومن هنا كان هذا البحث وسميته: "الآثار الإسلامية في عصر الدولة الفاطمية".

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في الآتي:

-احتل الفاطميون مصر لمدة تزيد على قرنين من الزمان مما كان له الأثر البالغ في كثرة ما تركوه وخلفوه من الآثار المتمثلة في المساجد وغيرها.

-العدد الكبير للآثار الإسلامية والتي اهتم الفاطميون بإنشائها منذ نزولهم مصر واهتمام الملوك والسلاطين بها خاصة المساجد.

-لم يقتصر إنشاء الآثار على خلفاء الدولة الفاطمية بل امتد ليشمل الوزراء أيضًا كما سيأتي.

أسباب الاختيار:

كان من أسباب اختيار هذا البحث ما يلي:

-كثرة الآثار الإسلامية في عهد الفاطميين لذلك وجب الكشف عنها والتعريف بها وبأماكنها.

-الكشف عن الطفرة العمرانية في زمن الفاطميين واهتمامهم بها.

-الكشف عن الآثار التي خلفها الفاطميون لم تقتصر على المساجد والجوامع إنما امتدت لتشمل القلاع والحصون والأبراج والأبواب.

أهداف البحث:

-الكشف عن الآثار التي خلفها الفاطميون في مصر خلال وجودهم بها والمتمثلة في المساجد والقلاع والحصون وغيرها.

-الكشف عن أسماء المساجد الأثرية في مصر خلال الدولة الفاطمية وأسماء من أقامها.

-الكشف عن مدى الاهتمام بهذه الآثار حتى الوقت الحالي والمحافظة عليها.

منهج البحث:

عمدت في المنهجية التي استعنت بها في إنجاز البحث على المزج بين أكثر من منهج علمي، لتدقيق الإحاطة بموضوع البحث وتفرعاته، وذلك على النحو التالي:

-سلكت المنهج الاستقرائي، حيث قمت بجمع المادة العلمية من كتب التاريخ الخاصة بالحقبة التي دخل فيها الفاطميون إلى مصر.

-المنهج التحليلي: الوقوف على المادة العلمية وتحليلها تحليلًا علميًا بعرضها على كتب التاريخ والعلوم الأخرى للوصول إلى مدى التوافق بينها.

وقد راعيت في بحثي الأمور التالية:

-توثيق الأقوال الواردة في البحث، وتوثيق كل قول ورد في البحث.

-التعريف بأسماء المساجد والمدارس الواردة في البحث.

-العناية بقواعد اللغة العربية، وقواعد الإملاء والخط وعلامات الترقيم.

خطة البحث:

المبحث الأول: التعريف بالدولة الفاطمية وأهم ملوكها وأعيانها أصحاب الآثار في هذه الدولة والتعريف بالآثار الإسلامية.

المبحث الثاني: الآثار الإسلامية وأنواعها في عصر الدولة الفاطمية.

-الخاتمة.

-المصادر والمراجع.

المبحث الأول

التعريف بالدولة الفاطمية وأهم ملوكها وأعيانها أصحاب الآثار في هذه الدولة والتعريف بالآثار

المطلب الأول: التعريف بالدولة الفاطمية:

كان قيام الدولة الفاطمية في المغرب في نهاية القرن الثالث الهجري (296هـ) نتيجة من نتائج الأزمات السياسية الكبرى التي اصطلى بنارها المشرق الإسلامي بعد ضعف الخلافة العباسية وتراجع نفوذها على الأقاليم التابعة لها منذ عهد الخليفة المتوكل على الله العباسي (232 - 247هـ)؛ حيث تسلط على الحكم عناصرُ غيرُ عربية «فارسية ثم تركية» لا هَمَّ لها إلا جمع الأموال، والعمل على تقوية نفوذها في الدولة من أجل تحقيق مكاسب شخصية، دون اكتراث بمصالح الرعية، وتحول العمال وحكام الولايات إلى ملتزمين يجمعون الأموال ويختصون أنفسهم وسادتهم بنصيب وافر منها، ويبعثون بالبقية إلى الوزير، وتحوَّل الخليفة العباسي إلى موظف في خدمة رئيس الجند وإن حمل لقب الخلافة، فهو يتقاضى راتبًا يحدده له الأتراك، ويقيم في قصره محجورًا عليه وعلى تصرفاته(1).

لقد كان الفاطميون يمثلون في هذه الحقبة التاريخية القوةَ الفتية التي تطمح إلى مد نفوذها وسيطرتها على كل الأراضي الإسلامية، مستغلة ضعف الخلافة العباسية، فجعل الفاطميون في إفريقية - بعد أن وطدوا نفوذهم بها إلى حد ما- يتحينون الفرص للعودة إلى الشرق لتحقيق حلمهم الكبير في حكم العالم الإسلامي بدل منافسيهم من السنة(2).

وقد قضت الدولة الفاطمية في المغرب منذ قيامها إلى انتقال إلى مصر نيفًا ونصف قرن (297 - 362هـ) وتولى الحكم في هذه المدة أربعة من خلفائها هم:

- المهدي أبو محمد عبد الله. المتوفى سنة 322هـ

- القائم بأمر الله أبو القاسم نزار المتوفى سنة 334هـ

- المنصور بنصر الله أبو الطاهر إسماعيل المتوفى سنة 341هـ

- المعز لدين الله أبو تميم معد المتوفى سنة 365هـ

إلى أن حرك المعز لدين الله قائده جوهر الصقلي لدخول مصر سنة 358هـ.

قد سبق حملته الناجحة ثلاث حملات كان مصيرها الفشل والإخفاق، وذلك على النحو التالي:

الحملة الأولى «301هـ»:

وكانت هذه الحملة بقيادة أبي القاسم الفاطمي ابن الخليفة عبيد الله المهدي الذي وجهها إلى مصر سنة 301هـ بمعاونة حباسة بن يوسف عامل الفاطميين على برقة. وقد نجحت هذه الحملة في احتلال الإسكندرية والفيوم، لكن الخليفة العباسي المقتدر بالله سير لمواجهتها جيشًا كثيفًا بقيادة مؤنس الخادم، فتمكن من هزيمة الفاطميين وطردهم من مصر.

الحملة الثانية «307هـ»:

رغم فشل الحملة السابقة في الاستيلاء على مصر، فقد رأى عبيد الله المهدي أن يحاول غزوها مرة أخرى، فأعد جيشًا لذلك وأوفد ابنه أبا القاسم على رأس هذا الجيش في أواخر سنة 306هـ، فاستولى على الإسكندرية سنة 307هـ «919م» دون عناء، ثم سار إلى الجيزة. وأخذ الفاطميون يتوغلون في بلاد الوجه القبلي حتى تمكنوا من الاستيلاء على الأشمونين والفيوم.

وأرسل الخليفة المقتدر العباسي قائده مؤنس الخادم للمرة الثانية على رأس جيش إلى مصر، فانتصر على الفاطميين واستولى على سفنهم وأحرقهم؛ وبذلك حلت الهزيمة بالحملة الفاطمية الثانية. وكان من أهم عوامل إخفاقها أن الخطة التي وضعها المهدي لغزو مصر لم تنفذ بدقة.

الحملة الثالثة «321 - 324هـ»:

استغل الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي اضطراب أحوال الخلافة العباسية بعد وفاة الخليفة المقتدر سنة 320هـ وانقسام القادة الترك على أنفسهم، فأرسل حملة جديدة إلى مصر سنة 321هـ تحت قيادة حبشي بن أحمد المغربي؛ ووقعت مناوشات بين جنود الفاطميين والمصريين، ثم عقدت هدنة في صفر سنة 322هـ بين الطرفين المتحاربين. غير أن هذه الهدنة لم يطل أمدها، فنشبت عدة وقائع في بعض المدن كالجيزة وبلبيس، ثم أوقع محمد بن طغج الإخشيد الهزيمة بالفاطميين في جمادى الأولى سنة 322هـ «934م» فاضطروا إلى العودة إلى بلاد المغرب. وقبل ذلك بشهرين توفّي الخليفة عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية وأخفى ابنه أبو القاسم موته ولم يعلنه للناس إلا بعد سنة؛ حيث استقرت أموره في المغرب وتلقب بالقائم.

واستأنف الخليفة القائم سياسة أبيه عبيد الله المهدي في غزو مصر، فوجه إليها جيوشه أواخر سنة 323هـ، فأدركت الإسكندرية في مطلع سنة 324هـ، وانضم إليها نفر من المصريين ممن تأثروا بالدعاية الفاطمية فأنفذ إليهم الإخشيد قوة كبيرة تمكنت من إلحاق الهزيمة بالقوات الفاطمية التي اضطرت للرجوع إلى الشمال الأفريقي(3).

الخليفة المعز لدين الله وتحقيق هدف الفاطميين في فتح مصر:

لم ييئس الفاطميون من فتح مصر رغم فشل محاولاتهم الثلاث التي أشرنا إليها. بل قوي عزمهم على توجيه حملة كبيرة إلى مصر، ولا سيما بعد اضطراب أحوالها السياسية والاقتصادية منذ وفاة محمد بن طغج الإخشيد سنة 334هـ؛ إذ لم يخلفه أحد من نسله له مقدرته وشجاعته، الأمر الذي أتاح لكافور -ذلك العبد الخصي- الاستبداد بشئون مصر دون ولدي الإخشيد. وصحيح أنه استطاع أن يخمد الثورات التي نشبت، وأن ينتصر على الحمدانيين، ولكن رغم هذه الوثبة التي كانت أشبه شيء بصحوة الموت، فقد ساءت أحوال البلاد الاقتصادية؛ ففي سنة 352هـ قصَّر النيل في فيضانه، وحدث بمصر غلاء شديد، نتجت عنه مجاعة ظلت نحو تسع سنوات، قاسى المصريون في خلالها الشدائد، فحدث في سنة 353هـ مثلًا أن «عظم الغلاء، وانتقضت الأعمال لكثرة الفتن، ونهبت الضياع والغلات، وماج الناس في مصر بسبب السعر، فدخلوا الجامع العتيق بالفسطاط في يوم الجمعة، وازدحموا عند المحراب، فمات رجل وامرأة في الزحام، ولم تَصَلَّ الجمعة يومئذ...»(4).

وفي سنة ست وخمسين «لم يبلغ النيل سوى اثني عشر ذراعًا وأصابع، ولم يقع مثل ذلك في المملكة الإسلامية، وكان على إمارة مصر حينئذ الأستاذ كافور الإخشيدي، فعظم الأمر من شدة الغلاء»(5).

وبعد وفاة كافور سنة 357هـ زالت آخر عقبة أمام الفاطميين نحو تحقيق حلمهم في فتح مصر؛ إذ لم تكن هناك شخصية قوية تخلف كافورًا في تولي شئون الحكم، التي آل أمرها إلى الوزير جعفر بن الفرات(6)، فعجز عن التوفيق بين رغبات الطائفتين الإخشيدية والكافورية، في الوقت الذي استمر فيه نقص ماء النيل فانتشر الغلاء وزادت الأسعار، وصلي المصريون بنار أزمة اقتصادية جديدة؛ نتيجة فساد الإدارة السياسية.

يقول المقريزي مشيرًا إلى الاضطراب السياسي والاختلال الاقتصادي الذي عانت منه مصر في أعقاب وفاة كافور: "ثم مات كافور، فكثر الاضطراب وتعددت الفتن، وكانت حروب كثيرة بين الجند والأمراء قُتل فيها خلق كثير. وانتهبت أسواق البلد، وأحرقت مواضع عديدة، فاشتد خوف الناس، وضاعت أموالهم، وتغيرت نياتهم، وارتفع السعر، وتعذر وجود الأقوات حتى بيع القمح كل ويبة بدينار، واختلف العسكر؛ فلحق الكثير منهم بالحسن بن عبد الله بن طغج، وهو يومئذ بالرملة. وكاتب الكثير منهم المعز لدين الله الفاطمي. وعظم الإرجاف بمسير القرامطة إلى مصر. وتواترت الإخبار بمجيء عساكر المعز من المغرب، إلى أن دخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة. ودخل القائد جوهر بعساكر الإمام المعز لدين الله"(7).

ويكشف هذا النص التاريخي المهم عن حقيقتين لهما وزنهما في هذا السياق:

الأولى: أن سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية قد دفع قومًا من المصريين إلى مكاتبة المعز لدين الله بإفريقية يدعونه لإرسال جيش للاستيلاء على مصر(8)؛ لإدراكهم مدى ضعف الخلافة العباسية التي استبد بالأمر فيها البويهيون الشيعة من دون الخلفاء، وأملهم في أن يجدوا في الخلافة الفاطمية قوة فتية قادرة على إقالة البلاد من عثرتها، وتدارك ما اعتراها من تدهور وفساد(9).

الثانية: أن فساد أوضاع مصر السياسية واضطراب أحوالها الاقتصادية كان سببًا مباشرًا من أسباب نجاح الفاطميين في فتح مصر.

وتشير الأدلة - كما يذكر د. أيمن فؤاد سيد - إلى أن الخليفة المعز كان قد بيت النية للانتقال إلى الشرق قبل فتح مصر بوقت طويل، ولعل أقوى هذه الأدلة تلك الدنانير الفاطمية الثلاثة التي تحمل مكان الضرب «مصر» مؤرخة في

السنوات 341هـ، 343هـ، 353هـ، وكما هو واضح فإنها ضربت قبل دخول الفاطميين مصر وتأسيس القاهرة بغرض ترويجها بواسطة الدعاة على الأفراد الذين يتوسمون فيهم الاستجابة للدعوة. وهكذا فإن فكرة العودة إلى الشرق كانت الشاغل الذي شغل بال الأئمة والدعاة على السواء، ولم يبق لتحقيقها إلا اختيار الوقت المناسب(10).

وكان المعز في ذلك الوقت يتابع الأمور في مصر عن طريق دعاته الذين انبثوا في ربوع مصر ينشدون الدعوة له، ويمهدون السبيل لمجيئه ويبشرون بالخلافة الشيعية.

وكان هو يعد العدة للغزو، فجمع كل ما استطاع جمعه من مال حتى ليقال إنه صرف على إعداد الجيش أربعة وعشرين مليونا من الدنانير عدا ما حمله ألف جمل من صناديق الذهب للصرف منها على الحملة، وحشد في الجيش كل من استطاع حشده من جنده، حتى ليقال إنه كان يزيد على مائة ألف جندي، وحتى وصفه أحد المصريين عند رؤيته بأنه «مثل جمع عرفات كثرة وعدة».

واختار المعز لقيادة هذا الجيش قائده القدير «جوهر الصقلي» الذي مهد له ملك شمال أفريقيا كله، فقد كان يتفاءل به ويؤمن بمقدرته الحربية حتى لقد قال مرة لزعماء المغرب: «والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر».

وخرج جوهر بجيشه في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الثاني سنة 358هـ، وسار في نفس الطريق الذي سلكه فيما بعد روميل في الحرب العالمية الثانية، ولكنه كان يعلم مبلغ ما يعانيه الجيش من صعاب وعقبات عند عبوره هذه الصحراء الممتدة الجدباء؛ ولهذا فقد عَبَّد الطرق وحفر الآبار، وبنى المنازل للاستراحة على طول الطريق من تونس إلى مصر.

ووصل جوهر الإسكندرية ودخلها دون قتال: فلما وصلت الأخبار بمقدمه إلى الفسطاط، اضطرب أهلها وتملكهم الذعر، واتفقوا مع الوزير جعفر بن الفرات أن يرسل في طلب الصلح والأمان، فكوَّن الوزير وفدًا من أعيان البلد، وجعل على رأسه الشريف أبا جعفر مسلم بن عبد الله، وسار الوفد حتى قابل جوهرًا -وكان في طريقه من الإسكندرية إلى الفسطاط - فقبل دعوتهم وكتب لهم أمانًا(11).

وقد أورد المقريزي نص الأمن الذي كتبه القائد جوهر الصقلي للمصريين(12) ونظرًا لطوله فسوف نكتفي بإيراد أبرز البنود التي اشتمل عليها:

1) إعزاز المصريين وحمايتهم والجهاد عنهم.

2) نشر الأمن في البلاد وتأمين طريق الحج الذي تعطل بسبب غارات القرامطة.

3) القيام بسلسلة من الإصلاحات الاقتصادية أبرزها: تجديد السَّكَّة والقضاء على الغش في النقود، وتنظيم أمور المواريث.

4) ترميم المساجد وتجديدها، وإجراء الأرزاق والرواتب على المؤذنين والأئمة والخطباء.

5) أن تكفل الحرية الدينية للمصريين؛ يتبعون المذهب الذي يريدون، دون إكراه أو إجبار، ويؤدون الفرائض والشعائر في حرية كاملة.

6) أن تتمتع الأقليات الدينية - من النصارى واليهود - بالحرية الدينية كذلك.

والواقع أن العامة قد رضوا بهذا الأمان ووافقوا على بنوده، أما الجند فقد انقسموا على أنفسهم: فأصرَّ الإخشيدية والكافورية على القتال، وعبروا إلى الجزيرة وتحصنوا بها، غير أنهم لم يكونوا على شيء من القوة، كما افتقروا إلى الوحدة

والقيادة الحكيمة، فلم يجد جوهر القائد أدنى صعوبة في هزيمتهم، فهدأت الأمور واستقرت الأحوال، وخرج الوزير جعفر بن الفرات ومعه الأشراف وأعيان مصر لمقابلة جوهر الذي دخل الفسطاط على رأس جيش، وشق المدينة، ونزل في الموضع الذي بنيت عليه القاهرة فيما بعد(13).

وهكذا نجحت هذه الحملة في القضاء على الحكم العباسي بمصر وتحويل هذا الإقليم المهم إلى ولاية فاطمية تدين بالولاء للخليفة الشيعي المقيم في المغرب، وستظل مصر كذلك مدة أربعة أعوام؛ أصبحت بعدها مقرًّا ومركزًا للحكم الفاطمي الشيعي؛ حيث انتقل إليها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بشكل نهائي سنة 362هـ.

أسباب نجاح الفاطميين في فتح مصر:

لا شك أن نجاح الحملة الفاطمية الرابعة في الاستيلاء على مصر له أسبابه الموضوعية التي يمكن إجمالها بشكل موجز فيما يلي:

1) استقرار الحكم الفاطمي في بلاد المغرب، بعد المغامرة العسكرية الكبيرة التي قام بها الخليفة المعز لدين الله؛ ليضمن ولاء الشمال الأفريقي كله قبل التوجه لغزو مصر. وقد عهد المعز بمهمة توطيد أركان الحكم الفاطمي في المغرب الأقصى لقائده الفذ جوهر الصقلي. ففي سنة 347هـ قاد جوهر حملة عسكرية ناجحة ضد قبائل البربر المناهضين للخلافة الفاطمية، ولا سيما في إقليمي سلجماسة وتاهرت، فتمكن من إخضاع مراكز المقاومة البربرية للحكم الفاطمي حتى إنه أسر ابن واسول أمير سجلماسة الذي كان يدين بالولاء للخلافة العباسية ويخطب لخلفائها(14). وفي سنة 357هـ قام جوهر بحملة مماثلة بغرض فرض النظام في المغرب الأقصى(15).

ولا شك أن استقرار الحكم الفاطمي في بلاد المغرب، جعل المعز لدين الله يتفرغ لفتح مصر، ويوجه ما لديه من إمكانات مادية وطاقات بشرية لإنجاز هذه المهمة.

2) أحسن الخليفة المعز لدين الله تنظيم جيوشه وإعدادها، وهي جيوش جرارة تجاوزت المائة ألف، حتى إنها كانت توصف بأنها مثل جبل عرفات كثرة وضخامة. واهتم المعز كذلك بنفسيات الجنود، فزود الحملة بأموال كثيرة بلغت مائتين وألف صندوق اشتملت على أربعة وعشرين مليونًا من الدينارات. وأفاض في الإغداق على رجال الجيش، وفتح خزائنه لقائده جوهر، وأمره أن يأخذ منها ما يكفيه زيادة على ما أعطاه. ولا شك أن هذا السخاء الفاطمي قد أنشأ في نفوس الجند عزمًا أكيدًا ورغبة صادقة في فتح مصر؛ استجابة لرغبة خليفة لم يبخل عليهم بشيء(16).

3) فساد الأحوال السياسية واضطراب الأوضاع الاقتصادية في مصر قبيل الغزو الفاطمي، الأمر الذي جعل الشعب المصري يستسلم بسهولة ودون مقاومة تذكر عندما جاءه الجيش الفاطمي؛ لأنه أدرك أن تحويل السلطة من العباسيين إلى الفاطميين لن يترتب عليه تغيير في سياسة الحاكم نحوها، فالمصريون في الحالتين كلتيهما سيخضعون لسلطان حاكم، وليس يضيرهم بعد ذلك أن يكون شيعيًّا أو سنيًّا. بل ربما كان انتقالهم إلى الحكم الفاطمي معينًا لهم على التخلص من الأخطار والفتن المحدقة بهم(17).

4) ضعف الدولة العباسية وتمزقها داخليًّا، واستبداد بني بويه الشيعة بالحكم فيها؛ بحيث لم يعد للخليفة العباسي الشرعي معهم سوى السلطة الدينية فتمثلت في ذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السكة. لقد أصبحت الأمور - كما يقول د.

ضياء الدين الريس - فوضى وفرغت الخزائن وأخذت رقعة الخلافة تنحصر، وتجزأت الإمبراطورية وتفتت بعد أن كانت موحدة(18).

وعلى ذلك فقد كانت الخلافة العباسية مشغولة بأوضاعها السيئة عن دفع الخطر الفاطمي الشيعي عن مصر، الأمر الذي سهل مهمة الفاطميين وأعطاهم المبرر لفتح مصر. وتجدر الإشارة إلى أن بني بويه قد أعانوا الجيش الفاطمي بطريقة غير مباشرة على فتح مصر؛ فقد سيطروا على الحكم في «بغداد» وحالوا بين الخليفة وبين تصريف شئون الدولة، وتسببوا في فساد الحياة الداخلية.

وليس بعيدًا أن يكونوا بميولهم الشيعية، ومجاراة منهم لموافقهم في المذهب الديني، قد ساعدوا على تثبيط همة «بغداد» وحملوها على أن تقف موقفا سلبيا من جيش الخلافة الفاطمية.

وليس من المغالاة أن نقول: إن تشيُّع هؤلاء، مع تسلطهم على الخليفة العباسي كان من بين العوامل التي يسرت الفتح الفاطمي لمصر(19).

5) التمهيد الفكري والديني الذي قام به الفاطميون قبل فتح مصر، وتجنيد الدعاة لنشر المذهب الشيعي في ربوع مصر قبل إرسال الحملة العسكرية إليها.

السياسة المذهبية للفاطميين، والعمل على تحويل مصر إلى المذهب الإسماعيلي:

الواقع أن استيلاء الفاطميين على مصر لم يكن مجرد حدث من أحداث السياسة، انتهى بسقوط دولة وقيام دولة أخرى على أنقاضها، بل كان أشبه بانقلاب ديني ثقافي اجتماعي بعيد المدى، صحبه تحول سياسي كبير؛ حيث أصبحت مصر تابعة للخلافة الفاطمية الشيعية، وانقطعت صلتها الرسمية بالخلافة العباسية السنية، وقد حرص الفاطميون منذ اللحظة الأولى لدخولهم مصر على أن يكون لهم بها نفوذ ديني راسخ، فجعلوا المذهب الإسماعيلي مذهبًا رسميًّا لها، وحاولوا نشر هذا المذهب بكل سبيل ممكنة بين المصريين السنة. بل إن الفاطميين جعلوا من مصر قاعدة أساسية ومركز انطلاق وتوجيه للنشاط الإسماعيلي خارج مصر، بعد أن كانت مصر مركزًا سنيًّا يقاوم الإسماعيلية في بلاد المغرب(20).

وبدا واضحًا أن الأمان الذي بذله الفاطميون لأهالي مصر، وتضمن إطلاق الحرية الدينية للمصريين وعدم إكراههم على ترك المذهب السني واعتناق المذهب الشيعي - كان مجرد إجراءٍ سياسي أو خدعة سياسية؛ لعدم إثارة الشعور الديني للمصريين وضمان خضوعهم للحكم الجديد؛ ذلك أن الفاطميين لم يحترموا عهدهم، بل تركز الاهتمام في تحويل المصريين إلى المذهب الشيعي، وكانت السنوات الأربع التي حكم فيها جوهر من أهم فترات التاريخ الفاطمي في مصر «358-362هـ» حيث تمت فيها التغييرات المذهبية والإدارية اللازمة التي عبرت عن مظاهر انتقال السيادة إلى الفاطميين(21).

وفيما يلي إطلالة سريعة على أبرز الوسائل التي اصطنعها الفاطميون لتحويل مصر إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي، وبيان موجز لمظاهر القمع والتضييق والتعصب الذي تعَّرض له المصريون على أيدي الفاطميين:

1) أسند الفاطميون المناصب العليا والوظائف المهمة في الدولة خاصة القضاء إلى الشيعة دون أهل السنة، الأمر الذي دفع فريقًا من أهل السنة إلى التظاهر باعتناق المذهب الشيعي من أجل الاحتفاظ بمناصبهم، أو الوصول إلى مناصب أعلى، وكذلك اعتنق بعض الذميين الإسلام ودانوا بالمذهب الشيعي، من أجل الغرض نفسه. ويتضح من ذلك أن المصريين الذين اعتنقوا المذهب الشيعي كان اعتناقهم لهذا المذهب بغير يقين صادق؛ ولكن لتحقيق مآرب شخصية(22).

وتجدر الإشارة إلى أن القضاء كان يمثل أحد أنواع الضغوط التي مورست بطريق غير مباشر على المصريين السنة للاتجاه ناحية المذهب الشيعي.

فعندما دخل جوهر مصر أقر القاضي السني، ولكنه ألزمه بإصدار أحكامه وفق عقائد المذهب الشيعي ثم أشرك معه قاضيًا مغربيًا هو عبد العزيز بن النعمان، اختص بنظر القضايا التي تخص المغاربة، وشيئا فشيئا عزل القاضي السني وآل القضاء بأكمله إلى قضاة شيعيين، وفي أواخر عهد الدولة الفاطمية عُهِد بمنصب القضاء لبعض السنيين، شريطة أن يصدروا أحكامهم طبقا لمذهب الشيعة، ويكون معه في مجلس القضاء أربعة من الفقهاء المتشيعين؛ حتى لا يصدر أحكامًا مخالفة للمذهب الشيعي(23).

2) اتخذ الفاطميون المساجد الكبرى في مصر مراكز للدعاية الفاطمية؛ وأهمها: مسجد عمرو بن العاص، ومسجد أحمد بن طولون، والجامع الأزهر، واهتم الفاطميون بتعيين أحد كبار المتفقهين في مذهب الشيعة للقيام بنشر دعوتهم، وكان يعرف بداعي الدعاة، وصارت منزلة هذا الداعي الكبير تلي قاضي القضاة، ويتزيا بزيه. وكان يعاونه اثنا عشر نقيبًا، ونواب في سائر البلاد؛ واشترطوا فيه أن يكون عالمًا بجميع مذاهب أهل البيت، وكثيرًا ما تقلد رجل واحد منصبيَ قاضي القضاة والدعوة(24).

وبالإضافة إلى الجامع الأزهر، فقد شيد الفاطميون سلسلة من الجوامع الأخرى، أشهرها: جامع الحاكم وجامع راشدة وجامع المقس وجامع القرافة والجامع الأقمر، وغيرها من الجوامع التي أجلسوا فيها الفقهاء ودعاة المذهب الشيعي، فكانت بمثابة مراكز لتلقين الدعوة الشيعية(25).

3) أمعن الفاطميون في إظهار شعائرهم وطقوسهم الدينية المخالفة لشعائر وطقوس أهل السنة. ولعل أول تغيير آثار سخط المصريين يتعلق بصوم رمضان؛ حيث يقضي المذهب الإسماعيلي بأن صوم رمضان وفطره يتم بالرؤية والحساب جميعًا، فإذا أشكل الأمر في أحدهما التمس في الآخر.

فقد أفطر القائد جوهر وأصحابه في سنة 358هـ/ 969م بغير رؤية وصلوا صلاة عيد الفطر بمصلى القاهرة. ولم يعجب ذلك أهل مصر وصلوا غداة هذا اليوم بالفسطاط؛ لأن القاضي أبا الطاهر الذهلي التمس رؤية الهلال - كما جرت العادة - على سطح جامع عمرو فلم يره، فلما بلغ ذلك القائد جوهر أنكره وتهدد من أعاد فعله، فأشار شهود القاضي عليه أن لا يطلب الهلال ثانية؛ لأن الصوم والفطر على الرؤية قد زالا؛ فانقطع طلب الهلال بمصر طوال حكم الفاطميين(26).

ومن الشعائر الإسماعيلية التي أظهرها الفاطميون -خلافًا لأهل السنة- الزيادة في الأذان؛ ففي يوم الجمعة 8 جمادى الأولى سنة 359هـ أمر القائد جوهر الصقلي المؤذنين بالأذان بـ«حيَّ على خير العمل» وكان ذلك أولًا في جامع أحمد بن طولون، ثم أذن بهذه الصيغة في جامع عمرو يوم الجمعة 26 جمادى الأولى من السنة نفسها، ثم أذن به بعد ذلك في سائر مساجد مصر(27). كذلك أمر جوهر بالجهر بالبسملة في الصلاة، وزيادة القنوت في الركعة الثانية من صلاة الجمعة، ومنع من قراءة ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ...﴾ وأزال التكبير بعد صلاة الجمعة(28)، وأن يقال في الخطبة: «اللهم صلِّ على محمد النبي المصطفى، وعلى عليّ المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرًا، اللهم صلِّ على الأئمة الراشدين آباء أمير المؤمنين الهادي المهديين»(29).

4) عُني الفاطميون - في سياق إبرازهم لشعائر المذهب الشيعي - بإحياء ذكرى المناسبات الشيعية والاحتفال بها؛ مثل: الاحتفال بيوم عاشوراء - أي العاشر من شهر المحرم - وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بكربلاء.

وعيد الغدير المعروف بغدير خُمّ، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وسبب الاحتفال به ما يرويه الشيعة من «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عودته من حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة، نزل بغدير خُمّ في طريقه إلى المدينة، وأخذ بيد علي بن أبي طالب وقال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه» ويعلق الشيعة أهمية كبرى على هذا الحديث، إذ يعتبرونه بمثابة مبايعة علنية من الرسول لعلي بن أبي طالب(30).

واحتفل الفاطميون كذلك بما عرف بالموالد الستة، وهي: مولد الحسين، ومولد السيدة فاطمة، ومولد الإمام علي، ومولد الحسن، ومولد الإمام الحاضر، والمولد النبوي(31).

وقد عانى المصريون كثيرًا بسبب هذه الاحتفالات، ولا سيما يوم عاشوراء، فقد ذكر المقريزي أنه كانت تحدث تجاوزات في يوم عاشوراء تسبب الأذى لكثير من الناس؛ لأن الشيعة في ذلك اليوم كانوا يذهبون عند قبر كلثم بنت محمد بن جعفر بن محمد الصادق والسيدة نفسية، فينوحون ويبكون على الحسين، ثم يقومون بتكسير أواني السقائين في الأسواق ويشققون الروايا ويسبون من ينفق في هذا اليوم، ولولا تدخل الشرطة وإغلاق الناس دكاكينهم وتعطيلهم للأسواق لزادت الفتنة، وقد كان لهم سنة في ذلك منذ أيام كافور الإخشيدي، فكان جنوده السودانيون يتعصبون على هؤلاء الشيعة، ويقبضون على المارة بالطرقات يسألون الرجل: «من خالك» فإن قال: معاوية، أكرموه، وإن سكت تعرض للأذى وأخذ ما عليه من ثياب ونهبت أمواله(32).

5) تجاوز عمل الفاطميين في نشر مذهبهم الإسماعيلي طور الدعوة وإظهار الشعائر إلى طور التشكيك في المذهب السني والهجوم المباشر على أتباعه. حتى يتحولوا عنه إلى المذهب الإسماعيلي؛ فهاجموا الشافعي ومالكًا وأبا حنيفة أصحاب المذاهب الفقهية المشهورة آنذاك. وكذلك هاجم الفاطميون الخلافة الأموية والخلافة العباسية اللتين عدهما أهل السنة خلافتين صحيحتين من الناحية الشرعية، وإن لم تكتمل فيهما شروط الإمامة الدينية الكاملة.

وكان دعاة المذهب الإسماعيلي منتشرين بين الناس يثيرون بعض الأمور الغامضة في الشرع والطبيعيات، ويجد بعض الناس أنفسهم في حيرة أمام تلك الأمور، فيقول لهم الدعاة: إن الدين مكتوم والأكثر له منكرون وبه جاهلون، وأن معرفة الحقيقة واليقين عند الأئمة الذين خصهم الله بالعلم ومعرفة الأسرار - ولو سلمت الأمة قيادها لهم لنجت من الاختلاف والافتراق(33). وهذا الكلام يتضمَّن تشكيكًا كبيرًا في المذهب السني، وأنه ليس شافيًا وعلى الناس أن يبحثوا عن العلم والحقائق عند أصحاب المذهب الإسماعيلي كما يزعمون(34).

6) وحين وجد الفاطميون أن أغلب أهل السنة يصرون على مذهبهم ويرفضون التحول إلى المذهب الإسماعيلي، لجأ الفاطميون إلى سياسة الضغط والإكراه، وخاصة في الأوقات التي كانوا يشعرون فيها بقوتهم السياسية، فمن ذلك: أن الخليفة المعز أمر أن يكتب في سائر مدينة مصر «خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب»، ومنع الفاطميون أهل مصر من التكني بأبي بكر، فغير من كان يتكنى بهذه الكنية كنيته.

وفي سنة «372هـ» أمر الخليفة العزيز بالله قطع صلاة التراويح التي كان يؤديها أهل السنة في المساجد من جميع البلاد المصرية، وفي سنة «381هـ» ضرب رجل بمصر وطيف به في المدينة؛ حيث عثر لديه على نسخة من كتاب الموطأ للإمام مالك(35).

وكذلك فقد تعصب الخليفة الحاكم بأمر الله «386-411هـ» تعصبًا شديدًا ضد أهل السنة، فأمر في سنة «395هـ» بنقش سب الصحابة على جدران المساجد وفي الأسواق والشوارع والدروب، وصدرت الأوامر إلى العمال في البلاد المصرية بمراعاة ذلك(36).

وقد قتل الحاكم رجلًا يعرف بابن الدقاق؛ لأنه صلى القيام بالناس في جامع عمرو، وقتل رجلًا يعرف برجاء بن الحسين؛ لأنه صلى القيام في المسجد(37).

على أن الحاكم بأمر الله قد خفف من مظاهر التعصب للمذهب الإسماعيلي بعد أن أثارت أوامره وقراراته الظالمة المتعصبة سخط الدوائر السنية؛ فأبطل سنة «397هـ» لعن الخلفاء الثلاثة الأول وغيرهم من الصحابة، ومنع المؤذنين من إضافة عبارة «حي على خير العمل» إلى الأذان، وأجاز لهم أن يقولوا في أذان الفجر «الصلاة خير من النوم» وسمح الحاكم كذلك بإقامة صلاة الضحى وصلاة التراويح(38).

كذلك أصدر الحاكم مرسومًا سنة «398هـ» وفَّق فيه بين السنيين والشيعيين، وأطلق لكل فريق منهم الحرية في أداء شعائره الدينية، وذلك على أثر ما حدث بينهم من خلاف على فهم بعض الأحكام وتطبيقها؛ فأجاز في هذا المرسوم للشيعيين صوم شهر رمضان دون أن يتقيدوا برؤية الهلال، وسمح للسنيين بصوم شهر رمضان إذا ثبت لديهم رؤية الهلال، كما أباح للشيعيين أن يكبروا في الصلاة على الميت خمس مرات، أما السنيون فأجاز لهم أن يكبروا في صلاة الجنازة أربع تكبيرات(39).

وتجدر الإشارة إلى أن التعصب الفاطمي ظل قائمًا في أيام الخليفة الظاهر بن الحاكم؛ فقد أخرج كثيرًا من فقهاء السنة من مصر، وأورد ذلك المقريزي في أحداث سنة «416هـ» فقال: «فيها أمر الظاهر بنفي من وجد من الفقهاء المالكية وغيرهم، وأمر الدعاة الإسماعيليين أن يُحِّفظوا الناس كتاب دعائم الإسلام وكتاب الوزير يعقوب بن كلس في الفقه على مذهب آل البيت وفرض الظاهرُ لمن يحفظ ذلك مالًا»(40).

وقد ذكر ابن تغري بردي أن سب السلف كان يكتب على الحيطان في مصر في خلافة المستنصر ووزارة بدر الجمالي الذي كان مغاليًا في التعصب للمذهب الشيعي(41).

استجابة بعض المصريين للمذهب الإسماعيلي:

إذا كان أكثر المصريين -على نحو ما سنشير لاحقًا- قد ثبتوا على مذهب أهل السنة وقاوموا الدعوة الإسماعيلية، فإن قسمًا من المصريين قد استجابوا لهذه الدعوة وتحولوا إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي؛ ذلك أن هذه الدعوة -كما يذكر أحد الباحثين- لم تكن دعوة ساذجة «وإنما كانت دعوة قوية لها أصولها وأسسها التي تقوم عليها وتستطيع أن تؤثر بها في الناس، وليس من الصعب أن يتصور الإنسان قومًا يتوسلون إلى الشعب المصري المسلم بأنهم من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن دعوتهم للإيمان بإمام آل البيت، ويؤيدون مذهبهم بآيات قرآنية وأحاديث نبوية يؤولونها تأويلًا خاصًا؛ وإلى جانب هذا كانت لهم قدرة فائقة في فن الدعاية وطريقة التأثير في الناس، ويملكون القوة والمال والوظائف، ويبذلون جهدًا ضخمًا لكسب المؤيدين والأنصار ترغيبًا وترهيبًا؛ فليس من الصعب أن يتصور الإنسان أن دعوة كهذه لا بد أن تجذب إليها بعض الناس، وهذا ما حدث بالفعل وتؤيده الأدلة التاريخية، ولم يكن المستجيبون للمذهب الإسماعيلي من نوع واحد؛ فمنهم من استجاب من أجل مصلحة شخصية، ومنهم من استجاب ليتحرر من الضغوط التي مارسها الإسماعيلية على المصريين في بعض الأحوال، ومنهم من استجاب بتأثير أساليب الدعوة الأخرى»(42).

ومن مظاهر استجابة بعض المصريين للمذهب الإسماعيلي:

1- الإقبال على مجالس الدعوة الإسماعيلية بالجامع الأزهر وغيره من مراكز الدعوة في مصر.

2- وكان لتشدد الفاطميين مع أهل السنة أثره في تحول البعض إلى المذهب الإسماعيلي؛ يقول المقريزي في أحداث سنة «395هـ»: «وكتب في صفر على سائر المساجد، وعلى الجامع العتيق من ظاهره وباطنه في جميع جوانبه، وعلى أبواب الحوانيت والحجر والمقابر والصحراء بسب السلف ولعنهم، ونقش ذلك ولون بالأصباغ والذهب، وعمل كذلك على أبواب القياسر وأبواب الدور، وأكره على عمل ذلك، وأقبل الناس من النواحي والضياع فدخلوا في الدعوة»(43).

وتجدر الإشارة إلى أن المذهب الإسماعيلي انتشر بصورة واضحة في بعض أقاليم الصعيد مثل أسوان التي قال عنها الأدفوي: «ولما كانت البلاد للعبيديين غلب على أهلها التشيع»(44). وأدفو؛ وقال عنها الأدفوي: «وكان التشيع بها فاشيًا، وأهلها طائفتان: الإسماعيلية والإمامية»(45)، ومثل ذلك يقال عن مدن أخرى في الصعيد(46).

على أن من دخل في الدعوة الإسماعيلية من المصريين لم يكن متعمقًا فيها، بل توقف عند الأخذ بفقه الإسماعيلية والإيمان والاعتراف بإمامة الخليفة الفاطمي، وعندما اضطرب أمر المذهب الإسماعيلي، ولا سيما بعد ظهور دعوى الألوهية أيام الحاكم - ترك هؤلاء ذلك المذهب(47).

المقاومة السنية للمد الشيعي في مصر:

من المعلوم أن مصر كانت قبل الفتح الفاطمي لها تدين بالمذهب السني الذي كان المذهب الرسمي للأقاليم التابعة للخلافة العباسية، ومنها مصر. وليس من المبالغة أن نقول: إن مصر كانت من أهم المنابر السنية في العالم الإسلامي قبل العصر الفاطمي. ورغم تحول مصر إلى مركز للدعوة الشيعية الإسماعيلية بعد استيلاء الفاطميين عليها، ونشاطهم المكثف في الدعوة إلى مذهبهم وسعيهم الدءوب إلى القضاء على المذهب السني؛ سواء بالتشكيك فيه والنيل منه، أو بالتضييق على أتباعه - أقول: إنه بالرغم من ذلك كله فقد ظل أكثر المصريين ثابتين على مذهبهم السني أوفياء له؛ وفي ذلك يقول عبد القاهر البغدادي ت 429هـ: «وأهل مصر ثابتون على السنة إلى يومنا هذا، وإن أطاعوا صاحب القاهرة في أداء خراجهم إليه»(48).

ويقول الأستاذ محمد عبد الله عنان مؤكدًا هذه الحقيقة: «إن الأمة المصرية لبثت من الناحية المذهبية طوال عهد الدولة الفاطمية محتفظة بمذهبها السني، لا تبغي عنه بديلًا»(49).

وفيما يلي نلقي بعض الضوء على أبرز مظاهر المقاومة السنية للمد الشيعي الإسماعيلي في مصر:

1) إظهار الشعائر السنية:

لم يلتزم أهل مصر بشعائر المذهب الإسماعيلي الذي حاول الفاطميون فرضه عليهم؛ بل حرصوا على التمسك بالشعائر السنية وإظهارها؛ فقد تمسكوا برؤية الهلال في الصوم والفطر وفقًا لتعاليم المذهب السني(50)، وصلى أهل السنة التراويح في جماعة أيام الحاكم بأمر الله في جامع عمرو وغيره، رغم منع الحكومة الفاطمية ذلك منذ أيام العزيز بالله.

وقد اضطر الحاكم بأمر الله إزاء تمسك أهل السنة في مصر بمذهبهم، ونتيجة الضغط السني عليه من ناحية المغرب إلى تخفيف الضغوط الدينية على أهل السنة؛ فقرب فقهاء المالكية في مصر، وسمح لهم بتدريس مذهبهم، وعيَّن في دار الحكمة اثنين من علماء السنة، وأعطى أهل السنة الحرية في إقامة صلاة الضحى والتراويح في شهر رمضان وغيرهما من

الشعائر السنية، بل إنه أصدر سجلًا يكفل الحرية الدينية في دولته، فمن أراد التمسك بالمذهب السني فله ذلك، ومن أراد التحول إلى المذهب الشيعي فله ذلك(51).

بيد أن الحاكم تراجع عن هذه السياسة المتسامحة وعاد مرة أخرى إلى تشدده مع أهل السنة(52).

2) الطعن في المذهب الإسماعيلي والتشكيك فيه:

اتجه فريق من أهل السنة إلى الطعن في المذهب الإسماعيلي والنيل منه، والعمل على تشويه صورته، فمن ذلك مثلًا: طعنهم في نسب الفاطميين الذي ثارت حوله شكوك كثيرة، فيروى أن الخليفة العزيز بالله كان يصعد المنبر فيجد قصاصات الطعن فيه وفي نسبه، ومن ذلك ما أورده ابن تغري بردي من أن العزيز صعد المنبر فوجد ورقة مكتوب فيها:

أنَّا سمعنا نسبا منكَرَا — يتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدعي صادقًا — فاذكر أبا بعد الأب الرابع
وإن ترد تحقيق ما قلته — فانسب لنا نفسك كالطائع
أوْ لاَ: دع الأنساب مستورة — وادخل بنا في النسب الواسع
فأنَّ أنساب بني هاشم — يقصر عنها طمع الطامع(53)

ولا ريب أن الطعن في النسب الفاطمي يعني الطعن في الأساس الذي قامت عليه الخلافة الفاطمية، وهو الانتساب إلى آل البيت(54).

وطعن أهل السنة كذلك في علم الأئمة الفاطميين الذين نسبوا إلى أنفسهم علمًا خاصًّا يتوارثونه فيما بينهم، وكان هذا الطعن مشوبًا بسخرية لاذعة اشتهر بها المصريون؛ فروي أن العزيز بالله اعتلى المنبر ذات مرة لخطبة الجمعة فوجد ورقة مكتوبًا فيها:

بالظلم والجور قد رضينا — وليس بالكفر والحماقة
إن كنتَ قد أُعطيتَ علمَ غيب — فقل لنا صاحب البطاقة(55)

3) التصدي لغلو الإسماعيلية:

رفض أهل السنة في مصر متابعة الإسماعيلية في غلوهم وانحرافهم، بل قاوموهم أشد مقاومة، ومن الشواهد الدالة على ذلك:

أ) روى الحافظ السلفي أن الخليفة الحاكم بأمر الله كان جالسا في مجلسه العام، وهو حفل بأعيان الدولة، فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65] وكان القارئ في أثناء ذلك يشير إلى الحاكم فلما فرغ من القراءة قرأ شخص آخر يعرف بابن المشجر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 73، 74] فلما

أنهى ابن المشجر قراءته تغير وجه الحاكم وأمر له بمائة دينار ولم يطلق للقارئ الأول شيئا، ولكن بعض أصحاب ابن المشجر خوَّفه من الحاكم، وأنه قد يؤاخذه فيما بعد، فخرج ابن المشجر إلى الحج وغرق في الطريق(56).

ب) عندما وصلت قافلة الحجاج سنة 395هـ إلى مصر أراد بعض الإسماعيلية أن يحملوهم على سب السلف، فأبى الحجاج وتحملوا في سبيل ذلك السب والبطش(57).

ج) عندما جهر نفر من غلاة الإسماعيلية بفكرة تأليه الحاكم بأمر لله، قام أهل السنة من الغيورين على دينهم بالفتك بكل من يقع في أيديهم ممن يروج لهذه الفكرة التي لا يقول بها إلا كافر، وقتلوا عددًا من القائلين بها. وقد شهدت السنوات من 408هـ إلى 410هـ سلسلة من المصادمات والاغتيالات والقتل، قتل في أثنائها الداعي محمد بن إسماعيل الدرزي سنة 408هـ أثناء سيره في موكب الحاكم(58).

4) ازدهار الدراسات السنية:

على الرغم من تضييق الفاطميين على أتباع المذهب السني في مصر، فقد ازدهرت علوم السنة بها، وقام العلماء بإثرائها بكثير من المؤلفات القيمة والكتب المهمة، التي كانت مظهرًا من مظاهر المقاومة السنية للمد الشيعي الإسماعيلي.

ففي القرآن وعلومه تفسيرًا وقراءة وإعرابًا، نبغ في مصر عدد من مشاهير علماء السنة؛ منهم: أبو بكر الأدفوي محمد بن علي بن أحمد المقرئ المفسر النحوي ت 388هـ، وإبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي ت 430هـ، والقزويني محمد بن أحمد بن علي المقرئ ت 452هـ، وأبو العباس بن نفيس المصري شيخ القراء ت 453هـ.

وفي الحديث، برز بمصر عدد كبير من المحدثين السنة إبان العصر الفاطمي؛ منهم على سبيل المثال لا الحصر: أبو بكر محمد بن علي بن حسن المصري المعروف بالنقاش نزيل تنيس، وعبد الغني بن سعيد ت 409هـ، والحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله النعماني المعروف بالحبال ت 482هـ.

أما الفقه، فقد شهد نشاطًا سنيًّا واضحًا في مصر على عهد الفاطميين وبرز عدد من الفقهاء في المذهبين المالكي والشافعي كان لهم إسهام ملموس في تطوير الدراسات الفقهية السنية بمصر.

فمن أشهر فقهاء المالكية بمصر في تلك الفترة: أبو بكر محمد النعالي ت 380هـ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي الجوهري ت 385هـ، وعبد الوهاب بن نصر البغدادي ت 422هـ، والأبهري الصغير محمد بن عبد الله، وعبد الجليل بن مخلوف الصقلي ت 459هـ.

أما فقهاء الشافعية فمن أبرزهم في تلك الفترة: أبو العباس أحمد بن محمد الدبيلي ت 373هـ، وأبو الحسن الحلبي علي بن محمد بن إسحاق، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن شاكر القطان ت 407هـ، والقضاعي محمد بن سلامة بن جعفر بن علي ت 454هـ، والقاضي أبو الحسن الخلعي المصري ت 492هـ.

وهكذا ثبت أهل مصر على مذهبهم السني، وباءت كل المحاولات الفاطمية الشيعية في تحويلهم عنه بالفشل الذريع، حتى إن أحد الباحثين الكبار في تاريخ الدولة الفاطمية وهو الدكتور أيمن فؤاد سيد، يقرر أنه بعد أكثر من مائتي عام من الحكم الفاطمي في مصر، لم يكن بها إسماعيلي واحد سوى من ارتبط بالسلطة الحاكمة(59). ولئن دلَّ ذلك على شيء، فإنما يدل على شدة وفاء المصريين للمذهب السني ورسوخه في نفوسهم، وتمكنه من ضمائرهم.

المواجهة والصراع بين الخلافتين العباسية والفاطمية:

تقدمت الإشارة إلى أن الخلافة الفاطمية كانت تتطلع إلى الاستيلاء تدريجيًّا على ممتلكات الخلافة العباسية تمهيدًا لإسقاطها، وأن فتح مصر لم يكن سوى جزء من المخطط الفاطمي لإدراك ذلك الهدف.

ولم يكد الفاطميون يتمون فتح مصر حتى تطلعوا إلى بسط نفوذهم على الشام التي كانت السيطرة عليها تمثل أهمية استراتيجية لكل نظام يتولى حكم مصر.

فأرسل جوهر جيشًا إلى الشام بقيادة جعفر بن فلاح، فتمكن من فتح الرملة ثم دمشق وإقامة الدعوة للخليفة الفاطمي المعز، وذلك في سنة 359هـ، ثم أتم جعفر فتح الشام سنة 360هـ وكذلك اعترف حكام حلب الحمدانيون بالخلافة الفاطمية(60).

وكان الفاطميون يهدفون من وراء فتح الشام إلى اتخاذها قاعدة انطلاق للهجوم على بغداد؛ لوضع نهاية لحكم البويهيين والخلافة العباسية، بيد أن موقعة دمشق مع القرامطة - الذين استغاثت بهم فلول الإخشيديين، ومقتل جعفر بن فلاح في ذي القعدة سنة 360 هـ قد بددت أحلام الفاطميين(61).

وقد شجعت المواجهات العسكرية بين الفاطميين والقرامطة أهالي الفرما وتنيس على التمرد على الفاطميين ونبذ دعوتهم، فلبسوا السواد شعار العباسيين، بيد أن الفاطميين نجحوا في قمع هذا التمرد وإعادة الهدوء إلى هذه الأقاليم بين سنتي 360هـ، 363هـ(62).

وفي عهد الخليفتين المعز والعزيز نشطت السياسة الخارجية للفاطميين في بلاد الشام من أجل تأكيد السيطرة الفاطمية على سوريا الوسطى والجنوبية، ثم على إمارة حلب فيما بعد؛ حيث كان الفاطميون يرون في سوريا الشمالية الطريق إلى العراق، وأن سيطرتهم عليها ستضمن لهم الوصول إلى بغداد المركز الروحي والسياسي للعالم الإسلامي السني(63).

وفي الوقت نفسه نجح الفاطميون في التصدي للبيزنطيين ووضعوا نهاية لمحاولاتهم المتكررة لاسترجاع الشام من عام 354هـ.

وتجدر الإشارة إلى أن عضد الدولة البويهي أبا شجاع فنا خسروا قد اعترف في عهد الطائع العباسي - بفضل آل البيت وخاطب العزيز بـ«الحضرة الشريفة» وأقر له بأنه في طاعته(64).

فكان ذلك مكسبًا سياسيًّا ودبلوماسيًّا للفاطميين في مواجهتهم مع العباسيين.

وكذلك - في سياق المواجهة غير المباشرة مع العباسيين - سعى الفاطميون إلى أن تقام لهم الخطبة في الحجاز «مكة والمدينة»؛ حتى تكون لهم السيادة الفعلية على العالم الإسلامي، وبالفعل أقيمت الخطبة للمعز بالحجاز سنة 363هـ(65)، كما أقيمت للعزيز سنة 365هـ(66).

وظل الفاطميون حريصين على ذلك التقليد الاستراتيجي إلى أن ضعفت دولتهم ودبت الفوضى والمشكلات الداخلية في أوصالها، فتقلصت ممتلكاتهم، واضمحل نفوذهم.

ومع نهاية عهد العزيز بالله حول سنة 382هـ اتسعت مملكة الفاطميين، وأقيمت الدعوة لهم في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي في اليمن والموصل فضلًا عن الشام وإفريقية، وكذلك فقد اشترط العزيز بالله على رسل بيزنطة أن يخطب له في جامع القسطنطينية يوم الجمعة(67).

وفي عهد الخليفة الفاطمي المستنصر «427- 487هـ» انتشر الدعاة الفاطميون على امتداد الأراضي الشرقية التابعة للعباسيين ثم السلاجقة، يتلقون تعليماتهم مباشرة من رئاسة الدعوة المركزية في القاهرة، من أجل الإطاحة بالخلافة العباسية وإرساء العقيدة الشيعية في العالم الإسلامي، وبإغراء من هؤلاء الدعاة، أقام الديالمة الدعوة للفاطميين سنة 415هـ في البصرة والكوفة والموصل وأعمال الشرق، وكذلك نجح المؤيد في الدين الشيرازي في إظهار الدعوة الفاطمية في شيراز وأرض فارس والأهواز(68).

وهكذا كان نشاط الحكومة الفاطمية في القاهرة وخارجها موجهًا للإطاحة بالخلافة العباسية، ولكن إذا كان الفاطميون قد كسبوا عن طريق الدعوة أراضي جديدة تابعة للعباسيين، فإنهم قد خسروا بعض الأراضي من ممتلكاتهم في بلاد الشام، لعل أهمها حلب التي خرجت من حوزتهم سنة 415هـ(69).

وفي عهد الخليفة الظاهر «411- 427هـ» تحسنت العلاقات الفاطمية البيزنطية، وكان هدف الظاهر من تقوية صلته بالإمبراطور البيزنطي التفرغ لمواجهة العباسيين ثم السلاجقة(70)؛ وقد وقعت هدنة بين الفاطميين والبيزنطيين سنة 418هـ(71)، واتفاقية أخرى سنة 427هـ لمدة عشر سنوات جددت سنة 439هـ(72).

موقف العباسيين من الأطماع الفاطمية:

ورغم ضعف الخلافة العباسية ووقوع خلفائها تحت الهيمنة السياسية للبويهيين الشيعة، والتهديد الفاطمي لها في مصر وجنوب الشام، فإن العباسيين جعلوا يناوئون الفاطميين، ويتربصون بهم، ويشوهون صورتهم منذ مطلع القرن الخامس الهجري، ولا سيما بعد ظهور السلاجقة السنة على مسرح الأحداث السياسية للمشرق الإسلامي ونجاحهم في غضون سنوات قليلة من بناء إمبراطورية سنية قوية كانت خير سند للخلافة العباسية في صراعها ضد الفاطميين الشيعة.

وكانت بداية الهجوم العباسي السني على الفاطميين الشيعة يتمثل في ذلك «المحضر» الذي صدر في بغداد سنة 402هـ يقدح في نسب الفاطميين ويطعن في اتصالهم بآل البيت، وقد وقع عليه كبار العلماء والقضاة والفقهاء في بغداد(73).

وفي سنة 444هـ صدر ببغداد «محضر» آخر يتضمن ما تضمنه المحضر السابق من طعن في نسب الفاطميين(74).

وقد سعى العباسيون - بمساعدة السلاجقة - إلى تضييق الخناق على الفاطميين لإضعاف دولتهم؛ تمهيدًا لإسقاطها، وبالفعل استجاب حاكم إفريقية المعز بن باديس الزيري لتحريض العباسيين؛ فقطع الخطبة للفاطميين وأقامها للعباسيين سنة 441هـ، بعد أن كان قد ضرب عملة جديدة خاصة به ليس عليها أسماء الفاطميين، فكانت ضربة موجعة لهم(75).

وكذلك نجح في تحريض الإمبراطور البيزنطي على الخلفاء الفاطميين، وعقدوا معه اتفاقًا أنهى بموجبه تموين القمح الذي كان يرسله إلى مصر، كما أقيمت الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسي في جامع القسطنطينية، مما أدى بالمستنصر إلى التحوط على ما في كنيسة قمامة سنة «447هـ- 1055م»، وأغلق أبواب كنائس مصر والشام، وطالب الرهبان بالجزية لأربع سنين، وزاد الجزية على سائر النصارى(76).

وقد رد الفاطميون على التهديد العباسي بتوجيه جهودهم ونشاطهم وتركيزه في الشرق وخصوصًا اليمن المهد الأول للدعوة الإسماعيلية، كما سعى الفاطميون إلى منافسة العباسيين تجاريًّا من خلال السيطرة على الشاطئين الإفريقي والعربي للبحر الأحمر، وعلى المنفذ الجنوبي المؤدي إلى الهند(77).

وفي الوقت نفسه صعّد الدعاة الفاطميون المواجهة الحربية مع العباسيين؛ حيث قام داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي بتأييد ثورة أبي الحارث البساسيري ضد الخليفة العباسي، مستغلًا الفوضى التي اجتاحت العراق في أعقاب سقوط البويهيين، ومستعينًا بالأموال والذخائر التي أمده بها الوزير اليازوري من القاهرة، ونجح البساسيري في الاستيلاء على بغداد وإقامة الخطبة بها للمستنصر الفاطمي لمدة عام سنة «450هـ- 1058م» وكان أول من أيده ودعا لصاحب مصر أهل الكرخ وألزم البساسيري الخليفة القائم بأمر الله العباسي بكتابة كتاب أشهد عليه العدول بأنه لا حق لبني العباس ولا له من جملتهم في الخلافة مع وجود بني فاطمة الزهراء، عليهم السلام».

وأرسل البساسيري الكتاب إلى المستنصر في مصر، وظل محفوظًا لدى الفاطميين إلى أن أعاده صلاح الدين إلى العباسيين فور استيلائه على مقاليد الأمور في مصر بعد ذلك بنحو مائة عام.

على أن الخلافة الفاطمية لم تكن ظروفها - في ظل تقلص ممتلكاتها وتعرضها لأزمات اقتصادية متوالية - تسمح بإمداد البساسيري بقوة تسنده وتدعم موقفه؛ ولذلك لم يجد طغرلبك السلجوقي صعوبة تذكر في القضاء على فتنة البساسيري وإعادة الدعوة للعباسيين في بغداد مرة أخرى بعد انقطاع دام اثني عشر شهرًا(78)، بل مد السلاجقة نفوذهم إلى الشام واستولوا على بعض ممتلكات الفاطميين بها، ولم يبق للفاطميين نفوذ إلا على مصر وجنوب فلسطين والحجاز واليمن، لتدخل الخلافة الفاطمية بعد ذلك مسلسل الضعف والانحطاط والتراجع، إلى أن سقطت سنة 567هـ.

المطلب الثاني: تعريف الأثر:

أولا: تعريف الأثر لغة:

يطلق الأثر في اللغة على عدة معان منها (79): ما بقي من رسم الشيء، أو بقية الشيء: ومنه قوله تعالى: ﴿... أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ...﴾ الآية(80) أي بقية من علم، ومنه سميت سنن النبي صلى الله عليه وسلم آثاره، ولذلك يقال أثر الجرح أو أثر السيف لما بقي بعده.

الأجل: ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه"(81)، وأصل ذلك من أثر مشيه في الأرض فإن مات لا يبقى له أثر، ولا يرى لأقدامه في الأرض أثر.

ذكر الحديث عن غيره والإخبار به: ومنه قول عمر - رضي الله عنه-: "فما حلفت به ذاكرا ولا آثرا"(82)، يعني ما حلفت بأبي متكلما ولا مخبرا عن غيري، ومنه أيضا قول أبي سفيان - رضي الله عنه - في حديث قيصر: "لولا أن يأثروا عني الكذب"(83) أي يروونه ويحكونه عني، ولذلك سميت المكرمة مأثرة لأنها يذكرها قرن عن قرن.

الخبر: ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ...﴾ الآية(84) أي أخبارهم، ومنه سميت سنن وآثار النبي صلى الله عليه وسلم أخباره.

الاستبداد بالشيء والتفرد به: ومنه قول عمر - رضي الله عنه-: "فو الله ما استأثر بها عليكم ولا أخذها دونكم"(85).

التفضيل والتقديم: ومنه قوله تعالى على لسان إخوة يوسف - عليه السلام-: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا ﴾ (86) أي فضلك، وقوله صلى الله عليه وسلم للأنصار: "إنكم ستلقون بعدي أثرة"(87) أي: يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء.

الحال الغير مرضية: ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار في الحديث السابق: "إنكم ستلقون بعدي أثرة". أي: حالا غير مرضية.

ثانيًا: تعريف الآثار في اصطلاح الآثاريين:

أما الآثاريون - وهم المتخصصون في مجال الآثار وعلومها - فيعرفون الآثار بعدة تعريفات أذكر منها ما يلي:

الآثار: هي الأشياء التي صنعها الإنسان أو استعملها من مسكن وأثاث وأدوات وفن ثم تخلفت عنه(88).

والآثار الإسلامية: هي المخلفات المادية التي خلفها المسلمون سواء في شكل عمائر أو منتجات تطبيقية مختلفة، وهي على الرغم من أنها تنسب إلى الإسلام إلا أنها ليست كلها آثار دينية، بل فيها آثار مدنية، وتجارية، وعسكرية، ومنشآت مائية، وفنون تطبيقية(89). ومثل ذلك يقال على الآثار الغير إسلامية.

والآثار: هي ما صنعه الإنسان في الماضي وطمر تحت الأرض من أدوات، أو تحف فنية، أو نقود، أو نقوش، أو مباني، أو حتى مدن بكاملها(90).

ومن خلال التعريفات السابقة يظهر أن الأثر في اللغة أعم منه في اصطلاح الآثاريين، كما يظهر أن المعنى اللغوي الأول للأثر وهو ما بقي من رسم الشيء أو بقية الشيء هو المعنى المناسب لمعنى الأثر عند الآثاريين.

والمتأمل في تعريفات الآثاريين للآثار يجد أنها تتفق على وصف الآثار بالصفات التالية:

الصفة الأولى: أن الآثار من صنع الإنسان، ومن ثم لا تعتبر الأشياء الطبيعية آثارا كالحيوان والمستخرج من المعدن.

الصفة الثانية: أنها قديمة تخلفت عن الإنسان، ومن ثم لا تعتبر الأشياء الحديثة آثارا كمن وجد جهازا الكترونيا، أو عملة حديثة متداولة كعشرة جنيهات مصرية مثلا.

الصفة الثالثة: أن لها قيمة مالية.

الصفة الرابعة: أنها يمكن أن تكون عقارًا أو منقولًا.

الصفة الخامسة: أنها يمكن أن تكون مدفونة سواء في الأرض أو البحر، ويمكن أن تكون ظاهرة. وهنا ينبغي الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أن تلك الآثار الظاهرة الآن لا تخلو عن حالين:

الأول: أنها لم تكن مطمورة يوما ما، بل انتقلت ملكيتها انتقالا طبيعيا عبر الأجيال من وارث إلى وارث ومن جيل إلى جيل مثل أغلب المباني الأثرية كقلعة صلاح الدين بالقاهرة ودمشق من الآثار الإسلامية، والكنيسة المعلقة بالقاهرة من الآثار القبطية، والأهرام من الآثار الفرعونية.

الثاني: أنها كانت مطمورة قبل اكتشافها فهذه - وإن كانت ظاهرة الآن - إلا أنها كانت يوما ما مطمورة مثل أغلب الآثار المنقولة التي يكتظ بها متحف الفن الإسلامي والمتحف القبطي، وكل الآثار الفرعونية المنقولة التي تملأ المتحف المصري.

كما انفردت بعض التعريفات باعتبار رفات السلالات البشرية والكائنات المعاصرة لها من الآثار، وهذا النوع من الآثار مراد عند الآثاريين وإن لم يصرحوا به في تعريفاتهم بدليل تعاملهم معه فعلا وأنهم أول المهتمين بقانون حماية الآثار الذي ينص على اعتبار رفات السلالات البشرية والكائنات المعاصرة لها من الآثار.

بناءا على ما سبق يمكن تعريف الأثر بأنه: " يعتبر أثرا كل عقار أو منقول أنتجته الحضارات المختلفة، أو أحدثته الفنون والعلوم والأديان من عصر ما قبل التاريخ، وخلال العصور التاريخية المتعاقبة حتى ما قبل مائة عام ؛ متى كانت له قيمة أو أهمية أثرية أو تاريخية باعتباره مظهرا من مظاهر الحضارات المختلفة، وكذلك رفات السلالات البشرية والكائنات المعاصرة لها ".

المراد بالأثر الإسلامي:

يمكن تعريف الأثر الإسلامي بأنه: "كل أثر أنتجته الحضارة الإسلامية".

شرح التعريف:

كل أثر: المراد بالأثر ما سبق تعريفه به وهو " كل عقار أو منقول أنتجته الحضارات المختلفة، أو أحدثته الفنون والعلوم والأديان من عصر ما قبل التاريخ، وخلال العصور التاريخية المتعاقبة حتى ما قبل مائة عام؛ متى كانت له قيمة أو أهمية أثرية أو تاريخية باعتباره مظهرا من مظاهر الحضارات المختلفة، وكذلك رفات السلالات البشرية والكائنات المعاصرة لها". أنتجته الحضارة الإسلامية: قيد خرجت به الآثار المتخلفة عن حضارات غير المسلمين.

المبحث الثاني
الآثار الإسلامية في عصر الدولة
الفاطمية (العبيدية) (358- 567هـ / 969 - 1171م)(91)

كانت الدولة العبيدية الشيعية بالشمال الأفريقي والشام والحجاز واليمن إحدى ثلاث دول إسلامية في ذلك العصر إلى جانب الدولة العباسية السنية ببغداد والأموية السنية بالأندلس، وقد تخلفت عن هذه الفترة آثار كثيرة جدا بمصر أهمها ما يلي:

- مجموعة من المساجد أهمها:

1- الجامع الأزهر: وهو أول مسجد بناه الفاطميون 359هـ/ 970م بالقاهرة على يد القائد الفاطمي جوهر الصقلي بعد أن خططها، وقد توالت على الأزهر الشريف صنوف الدهر ؛ فمساحته الآن 15600 مترا مربعا هي أربعة أضعاف مساحته وقت الإنشاء، وله خمس مآذن لا ترجع واحدة منها إلى العصر الفاطمي، ولا توجد به أضرحة، وتزين جدرانه الزخارف النباتية والأشكال الهندسية، وبه ثلاثة عشر محرابا، ومحرابه الأصلي الذي بناه الفاطميون من الخشب محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، وقد كان المسجد الرسمي والرئيسي للدولة في ذلك العصر ويدرس فيه المذهب الشيعي، ثم عطلت به الجمعة والدروس لمدة قرن من الزمان هي تقريبا فترة حكم الأيوبيين، ثم هو بعد ذلك وإلى الآن أكبر وأعرق جامعة إسلامية على وجه الأرض وأعلى جهة علمية شرعية سنية في العالم.

2- مسجد الحاكم بأمر الله: أكبر المساجد الفاطمية بعد الأزهر الشريف، استمرت الجمعة فيه في عهد الأيوبيين، وتسيطر عليه الآن طائفة البهرة الشيعية الإسماعيلية.

3- مسجد الأقمر: أجمل وأروع ما خلفه الفاطميون بالقاهرة من عمارة بما فيه من زخارف وكتابات.

4- مسجد الصالح طلائع: وهو آخر ما تركه الفاطميون من مساجد قبل سقوط دولتهم، وتحلي جدران المسجد وأبوابه ونوافذه الزخارف المختلفة.

-مجموعة من المنشآت العسكرية أهمها:

- أسوار القاهرة: أدار العبيدون الأسوار حول القاهرة بغرض تأمينها عسكريا إلا أن هذه الأسوار لم تدم طويلا والباقي منها الآن باب زويلة (بوابة المتولي)، وباب النصر، وباب الفتوح.

- أبراج مراقبة: وهي عبارة عن منارات مرتفعة جهزت تجهيزا عسكريا كاملا ثم ألبست ثوبا دينيا يظهر من مسمياتها مثل مشهد الجيوشي بجبل المقطم بالقاهرة، ومئذنة المسجد العتيق بإسنا، ومئذنة الطابية بأسوان، ومئذنة الحجاج بالأقصر، ولقد استخدمت هذه المنارات بعد الفاطميين في أغراض دينية فصارت أضرحة وما زالت كذلك حتى الآن.

- مجموعة من المشاهد والقباب والأضرحة أهمها المشهد الحسيني الذي أنشأه الفاطميون لدفن رأس الحسين - رضي الله عنه - سنة 549هـ / 1154م ثم توالت العناية بهذا المشهد وتوسعته حتى بناء المسجد سنة 1290هـ / 1873م ثم توسعته الأخيرة سنة 1952م، لكن وجود الرأس الشريفة فيه محل خلاف قديم.

- مجموعة من الآثار المنقولة عبارة عن أواني من الخزف ذي البريق المعدني على بعضها تصاوير غير متناسبة الأبعاد غالبا وهذه التصاوير تصور مناظر الشراب، وصور الراقصات والموسيقيين، ومناظر الصيد، ومناظر الألعاب الشعبية، ومناظر دينية مسيحية، ورسوم حيوانات واقعية لا سيما الأرنب وتخيلية كحصان له أجنحة أو جسم أسد ورأس صقر، وزخارف نباتية، وكتابات كوفية، وأمثلة كل هذه الأواني محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

- مجموعة من الآثار المنقولة عبارة عن منسوجات بأشكال وألوان وخامات مختلفة، وتزينها بشكل عام الكتابات الكوفية والزخارف وصور الطيور والحيوانات بأشكال فنية متناسقة، وأمثلة كل ذلك محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ومتحف المتروبوليتان بنيويورك.

- مجموعة من الآثار المنقولة عبارة عن نقود معدنية، وحلي، وتماثيل، وأدوات منزلية، وصور، وأمثلة كل ذلك بمتحف الفن الإسلامي ومتحف المتروبوليتان.

- مجموعة من الآثار المنقولة عبارة عن مصنوعات متنوعة من البللور والزجاج.

- خزانة الكتب: كان الفاطميون مولعين بجمع الكتب واقتنائها؛ حيث يجمعونها ويرتبونها في خزائن منظمة، يتعهدونها بالرعاية والإشراف، وكانت خزانة الكتب الفاطمية أعظم خزائنهم على الإطلاق، وكانت تُعد من أهم المؤسسات الثقافية الفاطمية في مصر (92)، وقد وصفها ابن أبي طي «بأنها من عجائب الدنيا، ويُقال: إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر، ويُقال: إنها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب.. وإن من عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري» (93).

وكانت هذه الكتب التي اشتملت عليها الخزانة تشمل ألوان الثقافة المختلفة في ذلك العصر، من فقه على المذاهب المختلفة، ونحو، ولغة، وحديث، وتاريخ، وأدب، وفلك، وطب، وكيمياء، وقد قدم لنا ابن الطوير وصفًا شائقًا مثيرًا للإعجاب للطريقة التي نُظمت ورتبت بها هذه الكتب، حيث قال: «وتحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم - يعني: أحد مجالس المارستان العتيق- والرفوف مُقَطَّعَة بحواجز وعلى كل حاجز باب متقن بمفصلات وقفل، وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات؛ فمنها في الفقه على سائر المذاهب، والنحو، واللغة، وكتب الحديث النبوي، والتواريخ وسير الملوك، والنجامة، والروحانيات، والكيمياء، من كل صنف النسخة والعشر، ومنها النواقص التي ما تُمِّمَت، كل ذلك تترجمه ورقة ملصقة على باب كل خزانة وما فيها، والمصاحف الكريمة في كل مكان فيما فوقها، وفيها من الدروج بخط ابن مُقْلَة ومن يليه ومن يماثله كابن البَواب وغيره، وهي التي تولى بيعها ابن صَوْرَة في أيام الملك الناصر صلاح الدين»(94).

وقد أُصيبت هذه المكتبة بألوان من المحن خاصة في النصف الثاني من عهد الخليفة الفاطمي المستنصر، فمنها ما نُهب، ومنها ما أخذه الجند والوزراء، في مقابل رواتبهم المتأخرة، ومنها ما أُغرق، ومنها ما أُحرق، ومنها ما حُمل إلى سائر الأقطار(95)، ثم قضي عليها تمامًا في أعقاب سقوط الدولة الفاطمية(96).

ويصف العماد الأصفهاني الطريقة التي بيعت بها خزانة الفاطميين قائلًا: «بأن بيع الكتب في القصر كان له يومان في كل أسبوع، وكانت الكتب تُباع بأرخص الأثمان، وبعد أن كانت خزائنها في القصر مرتبة مفهرسة قيل للأمير بهاء الدين قراقوش متولي القصر، وصاحب الأمر والنهي فيه: إن هذه الكتب قد عاث فيها العث ولا بد من تهويتها وإخراجها من الرفوف إلى أرض الخزانة، وكان هذا الوزير تركيًّا لا خبرة له بالكتب ولا دراية له بأسفار الأدب، بينما كان هذا الطلب حيلة مدبرة من تجار الكتب يريدون بها تفريق المؤلفات وتوزيع أجزائها وخلط أنواعها ومزج بعضها ببعض، فتم ذلك واختلطت كتب الأدب بكتب النجوم، وكتب الشرع بكتب المنطق، وكتب الطب بكتب الهندسة، والتاريخ بالتفسير، والكتب المجهولة بالكتب المشهورة، وكان في الخزانة مؤلفات يشتمل كل كتاب منها على خمسين أو ستين جزءًا مجلدًا إذا فقد منها جزء لا يخلف أبدًا، ففرَّق الدلالون هذه الأجزاء لتقل قيمة الكتب وتُباع بأبخس الأثمان، بينما كانوا يعرفون مواضع أجزائها ويستطيعون جمع شملها بعد شرائها وكان بعضهم يتشاركون في إتمام ذلك ثم يبيعون الكتب بعد ذلك بأضعاف الثمن الذي دفعوه فيها».

وأضاف العماد الأصفهاني: «أنه لما رأى الأمر كذلك حضر إلى القصر، واشترى كما اشترى الدلالون، ولما عرف السلطان ما ابتاعه، وكان بمئين، أنعم عليه به، وأبرأ ذمته من ذهبها، ثم وهب له أيضًا من خزانة القصر ما عَيَّن عينه من كتبها.

ودخل عليه يومًا وبين يديه مجلدات كثيرة انتقيت له من القصر، وهو ينظر في بعضها، ويبسط يده لقبضها، وقال: كنت طلبت كتبًا عَيَّنتها، فهل في هذه منها شيء؟ فقال: كلها، وما أستغني عنها، فأخرجها من عنده بحمال»(97).

وكذلك حصل القاضي الفاضل مستشار صلاح الدين على قدر كبير من كتب هذه الخزانة، وقام بترميم التالف منها، ثم جمعها بعد ذلك حتى إذا أنشأ المدرسة الفاضلية جعل فيها من كتب القصر مائة ألف مجلد على ما يذكر المقريزي(98).

ومع إهمال الأيوبيين لخزانة الكتب الفاطمية وسماحهم بالسطو على كنوزها وذخائرها، فإننا نجدهم قد تشبهوا بالفاطميين في العناية بجمع الكتب وإنشاء المكتبات وإلحاقها بمؤسسات التعليم المختلفة، فأنشأ الكامل محمد بمدرسته دارًا للكتب لها قيم يشرف عليها(99).

خاتمة:

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد: فهذه أهم النتائج، والتوصيات التي توصلت إليها.

أولًا: النتائج:

- اهتم الفاطميون منذ وطأت أرجلهم بمصر بالعمارة الإسلامية المتمثلة في المساجد والقلاع والحصون.

- كثرة الآثار الفاطمية في أنحاء مصر والاهتمام بها وصيانتها في العصر الحالي.

ثانيًا: التوصيات: يوصي الباحث بما يلي:

- الاهتمام بهذه الآثار وإدراجها في هيئة الآثار وتسجيلها ليتسنى الاهتمام بها وترميمها.

- الحصر الشامل والدقيق لما خلفه الفاطميون بمصر من آثار تمثلت في المساجد والقلاع والحصون والأسوار والأبراج والأبواب.

- حصر آثار وعمارات الدول الإسلامية الأخرى بداية من عصر الخلفاء الراشدين حتى عصر الأسرة العلوية.

- تعريف العامة بهذه الآثار وأهميتها عن طريق وسائل الإعلام وتعريف الناس بها مما يؤدي ذلك لنشاط سياحي داخلي.

- إعداد نشرات دورية للتعريف بهذه الآثار تتولاها بعض المؤسسات.

- يوصي الباحث المتخصصين في علو التاريخ خاصة تاريخ المغرب العربي بدراسة الفترات التاريخية المختلفة والحركة العلمية فيها فقد حلت ببلاد المغرب دول أخرى كثيرة كان لها نصيب في الاهتمام بالعلم.

- الاستفاضة في دراسة الدولة الحفصية على مدى تاريخها العلمي واهتمام هذه الدولة بالنهضة العلمية فقد امتدت هذه الدولة 347 سنة شابها فترات قوة وضعف وتولى السلطنة فيها 24 سلطانًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع والمصادر:

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف، مصر، ط2، 1416هـ- 1996م.

إغاثة الأمة بكشف الغمة، لأحمد بن علي تقي الدين المقريزي، القاهرة، دار ابن الوليد، د.ت.

بدائع الزهور في وقائع الدهور، لابن إياس، طبع بمصر، 1311هـ.

تاريخ ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ- 1988م.

تاريخ الخلفاء، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1425هـ-2004م.

الجامع الصحيح «سنن الترمذي»، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: أحمد شاكر، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط (2)، 1398هـ - 1978م.

حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي، د. نجوى كيرة، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.

الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، د. محمد ضياء الدين الريس، القاهرة، دار التراث، ط5، 1985م.

خطط المقريزي المسمّى بـ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، لأحمد بن علي تقي الدين المقريزي، إصدار: دار التحرير للطبع والنشر، عن طبعة بولاق، 1270هـ.

الدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الاسرة، 2007م.

الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، لعبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1418هـ-1997م.

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (1)، 1419هـ - 1998م.

سنن ابن ماجه، لمحمد بن زيد القزويني، تحقيق: بشار عواد، دار الجيل، بيروت، ط (1)، 1418هـ - 1998م.

سنن أبو داود، لأبي داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية.

السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ - 1991م.

صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ - 1993م.

صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، 1414هـ-1993م.

صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1400هـ-1980م.

الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، الأدفوي تحقيق: سعد محمد حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م.

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط (2)، 1977م.

القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر، بيروت، 1399هـ - 1979م.

لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، (ط1، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ - 1987م.

مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1415هـ - 1995م.

المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله، المعروف بالحاكم، وبذيله: التلخيص، للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421هـ - 2001م.

مصر بين المذهب السني والمذهب الإسماعيلي في العصر الفاطمي، د. أحمد كامل، رسالة دكتوراه، بجامعة القاهرة، 1987م.

معالم تاريخ المغرب والأندلس، حسين مؤنس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الأسرة، 2004م.
المقفى الكبير، لتقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط2، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، المؤسسة المصرية العامة، (د.ط)، (د.ت).
نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، ابن الطوير، جمعه وقدم له د. أيمن فؤاد سيد، شتوتجارت 1992م.
نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، دار الكتب المصرية، 1922م.
النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين المبارك بن الأثير الجزري، تحقيق: محمود الطناجي، المكتبة الإسلامية.
الوافي بالوفيات، للصفدي، دار النشر طهران، إيران.
وفيات الأعيان، لابن خلكان، دار صادر، بيروت.

الهوامش:

(1) ينظر: د. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص (135)..
(2) ينظر: الخطط (357/2، 358).
(3) ينظر: اتعاظ الحنفا، للمقريزي (74/1)، الولاة والقضاة (284-287).
(4) ينظر: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص (12).
(5) ينظر: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص (12).
(6) ينظر: الدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد، ص (132، 133).
(7) ينظر: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص (12، 13).
(8) ينظر: بدائع الزهور (184/1/1).
(9) ينظر: الدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد، ص (133).
(10) ينظر: السابق، ص (129، 130).
(11) ينظر: اتعاظ الحنفا (96/1) وما بعدها (113/1)، وتاريخ مصر الإسلامية، د. جمال الدين الشيال (139/1).
(12) ينظر: اتعاظ الحنفا (103/1-107).
(13) ينظر: اتعاظ الحنفا (111/1).
(14) ينظر: المجالس والمسايرات، للقاضي النعمان، ص (214، 411، 412، 412)، الكامل، لابن الأثير (524/8، 525)، تاريخ ابن خلدون (46/4، 47)، اتعاظ الحنفا (93/1، 94).
(15) ينظر: المقفَّى الكبير، للمقريزي (329/3)، والدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد، ص (13).
(16) ينظر: الدولة الفاطمية، د. عبد الله جمال الدين، ص (131، 132).
(17) ينظر: السابق، ص (132).
(18) ينظر: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، د. محمد ضياء الدين الريس، ص (472).
(19) ينظر: الدولة الفاطمية، د. عبد الله جمال الدين، ص (135، 136).
(20) ينظر: مصر بين المذهب السني والمذهب الإسماعيلي في العصر الفاطمي، د. أحمد كامل، ص (188).
(21) ينظر: الدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد، ص (141، 142).
(22) ينظر: مصر في عصر الدولة الفاطمية، د. جمال الدين سرور، ص (47)، حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي، د. نجوى كيرة، ص (382، 383).
(23) ينظر: الولاة والقضاة، للكندي، ص (584)، الخطط للمقريزي (340/2)، حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي، د. نجوى كيرة، ص (394).
(24) ينظر: مصر في عصر الدولة الفاطمية، د. جمال الدين سرور، ص (47).
(25) ينظر: الخطط، للمقريزي (273/2، 277، 282، 283، 290)، حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي، د.نجوى كيرة، ص (387).
(26) ينظر: اتعاظ الحنفا (116/1)، المقفى الكبير (101/3)، الولاة والقضاة، ص (584).
(27) ينظر: اتعاظ الحنفا (120/1، 121)، المقفى الكبير (107/3)، تاريخ ابن خلدون (48/4)، الوافي بالوفيات (225/11).
(28) ينظر: اتعاظ الحنفا (119/1-121).
(29) ينظر: السابق (117/1)، المقفى الكبير (101/3).

(30) أخرجه ابن حبان في صحيحه (376/15)، والنسائي في السنن الكبرى (45/5) كتاب المناقب، باب: فضائل علي رضي الله عنه، حديث (8148)، وابن ماجه في سننه (43/1) باب: في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأحمد في مسنده (118/1)، والحاكم في المستدرك (118/3)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وينظر: د. جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية، ص(48).

(31) ينظر: الدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد، ص (560).

(32) ينظر: اتعاظ الحنفا (145/1، 146) (20/2، 21).

(33) ينظر: الخطط للمقريزي (391/1) وما بعدها.

(34) ينظر: مصر بين المذهب السني والمذهب الإسماعيلي، د. أحمد كامل، ص (171).

(35) ينظر: اتعاظ الحنفا (273/1).

(36) ينظر: تاريخ الإسلام (283/28)، وتاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص (414)، وسمط النجوم العوالي (556/3).

(37) ينظر: مصر بين المذهب السني والمذهب الإسماعيلي، د. أحمد كامل، ص (172).

(38) ينظر: النجوم الزاهرة (222/4).

(39) ينظر: تاريخ ابن خلدون (60/4)، مصر في عصر الدولة الفاطمية، د. جمال الدين سرور، ص (51، 52).

(40) ينظر: اتعاظ الحنفا للمقريزي (175/2)، ومصر بين المذهب السني والمذهب الإسماعيلي، د. أحمد كامل، ص(173).

(41) ينظر: النجوم الزاهرة (120/5).

(42) ينظر: مصر بين المذهب السني والمذهب الإسماعيلي، د. أحمد كامل، ص (176).

(43) ينظر: اتعاظ الحنفا للمقريزي (54/2).

(44) ينظر: الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، ص (34).

(45) ينظر: السابق، ص (37).

(46) ينظر: السابق، ص (38، 39، 41).

(47) ينظر: مصر بين المذهب السني والمذهب الإسماعيلي، د. أحمد كامل، ص (178).

(48) ينظر: الفرق بين الفرق، ص (275).

(49) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية في عصره، محمد عبد الله عنان، ص (292).

(50) ينظر: اتعاظ الحنفا (116/1).

(51) ينظر: السابق (78/2)، مصر بين المذهب السني والمذهب الإسماعيلي، د. أحمد كامل، ص (198، 199).

(52) ينظر: اتعاظ الحنفا (80/2).

(53) ينظر: النجوم الزاهرة (116/4)، ووفيات الأعيان (373/5).

(54) ينظر: مصر بين المذهب السني والمذهب الإسماعيلي، د. أحمد كامل، ص (202).

(55) ينظر: وفيات الأعيان (373/5)، والنجوم الزاهرة (116/4)، وتاريخ الخلفاء، ص (6)، حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي، د. نجوى كيرة، ص (374).

(56) ينظر: معجم السفر، السلفي، ص (204).

(57) ينظر: اتعاظ الحنفا (54/2).

(58) ينظر: نهاية الأرب (196/28 - 198)، اتعاظ الحنفا (102/2، 113 118، 140)، الدولة الفاطميةن د.أيمن فؤاد سيد، ص (174-176)، مصر بين المذهب السني والمذهب الإسماعيلي، د. أحمد كامل، ص(205).

(59) ينظر: الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد ص (154).

(60) ينظر: تاريخ ابن خلدون (48/4، 49)، واتعاظ الحنفا (120/1) (122/1، 123).

(61) ينظر: اتعاظ الحنفا (128/1، 129)، الدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد، ص (150).

(62) ينظر: اتعاظ الحنفا (130/1) وما بعدها.

(63) ينظر: الدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد، ص (159).

(64) ينظر: الكالل، ابن الأثير (709/8)، والنجوم الزاهرة (124/4).

(65) ينظر: تاريخ ابن خلدون (51/4)، واتعاظ الحنفا (225/1).

(66) ينظر: اتعاظ الحنفا (238/1).

(67) ينظر: اتعاظ الحنفا (274/2)، والنجوم الزاهرة (112/4، 116، 224، 151).

(68) ينظر: نهاية الأرب (205/28)، واتعاظ الحنفا (168/2) (137/2- 139)، والنجوم الزاهرة (251/4)، الدولة الفاطمية، د.أيمن فؤاد سيد، ص (184، 185).
(69) ينظر: اتعاظ الحنفا (147/2)، (152/2).
(70) ينظر: الدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد، ص (186).
(71) ينظر: اتعاظ الحنفا (176/2).
(72) ينظر: السابق (182/2).
(73) ينظر: الكامل، لابن الأثير (73/8)، وتاريخ ابن خلدون (31/4)، واتعاظ الحنفا (31/1) وما بعدها.
(74) ينظر: اتعاظ الحنفا (223/2).
(75) ينظر: اتعاظ الحنفا (214/2)، والمقفى الكبير (425/3).
(76) ينظر: اتعاظ الحنفا (230/2)، والمقفى الكبير (425/3)، والدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد، ص (190).
(77) ينظر: الدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد، ص (192- 194).
(78) ينظر: الكامل، لابن الأثير (608/9) وما بعدها، واتعاظ الحنفا (250/2- 258)، والنجوم الزاهرة (5/5-7)، والدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد، ص (194، 195)، وتاريخ مصر الإسلامية، د. جمال الدين الشيال (156/1)، والدولة الفاطمية، د. جمال الدين سرور، ص (144- 149).
(79) مختار الصحاح، ص(2)، لسان العرب (10:5/4)، القاموس المحيط (435/1، 436)، النهاية في غريب الأثر (22/1، 23).
(80) سورة الأحقاف آية: 4 .
(81) صحيح البخاري (728/2) كتاب البيوع، باب: من أحب البسط في الرزق، صحيح مسلم (1982/4) كتاب البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، سنن أبي داود (132/2) كتاب الزكاة، باب: في صلة الرحم، السنن الكبرى للنسائي (438/6) سورة فاطر - قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾.
(82) صحيح البخاري (2449/6) كتاب القدر، باب: لا تحلفوا بآبائكم، صحيح مسلم (1266/3) كتاب الأيمان، باب: النهي عن الحلف بغير الله تعالى، سنن الترمذي (109/4) باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، سنن أبي داود (222/3) كتاب الأيمان والنذور، باب: في كراهية الحلف بالآباء، السنن الكبرى للنسائي (122/3) كتاب الأيمان والكفارات الحلف بالآباء، سنن ابن ماجة (677/1) كتاب الكفارات، باب: النهي أن يحلف بغير الله .
(83) صحيح البخاري (7/1) باب: كيف بدء الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ ، السنن الكبرى للنسائي (309/6) سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾.
(84) سورة يس آية: 12.
(85) صحيح مسلم (1378/3) كتاب الجهاد والسير، باب: حكم الفيء، سنن أبي داود (139/3) كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب: في صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأموال.
(86) سورة يوسف آية: 91.
(87) صحيح البخاري (1575/4) كتاب المغازي، باب: غزوة الطائف، صحيح مسلم (738/2) كتاب الزكاة، باب: إعطاء من يخاف على إيمانه.
(88) مدخل إلى الآثار الإسلامية، د.حسن الباشا، ص(7).
(89) العمارة الإسلامية، د.حسني محمد نويصر، ص(3).
(90) موسوعة الواحة، باب: الآثار والمعالم الحضارية.
(91) الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة، د. أبو الحمد محمد فرغلي، ص(192، 193، 218:214، 255:252)، الآثار الإسلامية، أ.د حسني نويصر، ص (206:159، 387:233)، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، د. سعاد ماهر - العصر الفاطمي – مسجد، رقم (22،23،31،38،43،45).
(92) ينظر: الدولة الفاطمية تفسير جديد، د. أيمن فؤاد سيد ص (594).
(93) ينظر: السابق.
(94) ينظر: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، لابن الطوير، ص (127).
(95) ينظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، د. أحمد أحمد بدوي، ص (83).
(96) ينظر: الدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد ص (597).
(97) ينظر: الروضتين في أخبار الدولتين، لأبي شامة.
(98) ينظر: الخطط للمقريزي (366/2)، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، د. أحمد أحمد بدوي، ص (84).
(99) ينظر: الخطط للمقريزي (375/2).